

## سورة السجدة

مكية [إلا من آية ١٦ إلى غاية آية ٢٠ فمدنية]  
وآياتها ٣٠ وقيل ٢٩ [نزلت بعد المؤمنون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْعَلَمَ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

﴿الْعَلَمَ ١﴾ على أنها اسم السورة مبتدأ خبره ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ وإن جعلتها تعديداً للحروف ارتفع ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ بأنه خبر مبتدأ محذوف: أو هو مبتدأ خبره ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ والوجه أن يرتفع بالابتداء، وخبره ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: اعتراض لا محل له. والضمير في (فيه) راجع إلى مضمون الجملة، كأنه قيل: لا ريب في ذلك، أي في كونه منزلاً من رب العالمين ويشهد لوجهته قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ لأن قولهم: هذا مفترى، إنكار لأن يكون من رب العالمين، وكذلك قوله: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ وما فيه من تقدير أنه من الله، وهذا أسلوب صحيح محكم: أثبت أولاً أن تنزيله من رب العالمين، وأن ذلك ما لا ريب فيه، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ لأن «أم» هي المنقطعة الكائنة بمعنى: بل والهمزة، إنكاراً لقولهم وتعجباً منه لظهور أمره: في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه، ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك. ونظيره أن يعلل العالم في المسألة بعلة صحيحة جامعة، قد احترز فيها أنواع الاحتراز، كقول المتكلمين: النظر أول الأفعال الواجبة على الإطلاق التي لا يعري عن وجوبها مكلف، ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه، فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك، ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيته. فإن قلت: كيف نفى أن يرتاب في أنه من الله، وقد أثبت ما هو أطم من الريب، وهو قولهم: ﴿افْتَرَاهُ﴾؟ قلت: معنى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أن لا مدخل للريب في أنه تنزيل الله، لأن نافي الريب ومميطة معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزاً للبشر، ومثله أبعد شيء من الريب. وأما قولهم: ﴿افْتَرَاهُ﴾ فإما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الإعجاز له، أو جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لأنه سمع الناس يقولونه ﴿مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ كقوله: ما أنذر آبائهم، وذلك أن قريشاً لم يبعث الله

إليهم رسولا<sup>(١)</sup> قبل محمد ﷺ. فإن قلت: فإذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة. قلت: أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا بالرسول فلا، وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم؛ لأن أدلة ١٩٦/٢ العقل الموصلة إلى ذلك معهم في كل زمان ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ فيها وجهان: أن يكون على الترجي من رسول الله - ﷺ - كما كان (لعله يتذكر) على الترجي من موسى وهارون عليهما السلام، وأن يستعار لفظ الترجي للإرادة.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مَن وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥﴾

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مَن وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾؟ قلت: هو على معنيين، أحدهما: أنكم إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم ولياً، أي: ناصراً ينصركم ولا شافعاً يشفع لكم. والثاني: أن الله وليكم الذي يتولى مصالحكم، وشفيعكم أي ناصركم على سبيل المجاز؛ لأن الشفيع ينصر المشفوع له، فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مَن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير.

﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ﴿٥﴾

﴿الْأَمْرَ﴾ المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة ينزله مديراً ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ثم لا يعمل به ولا يصعد إليه ذلك المأمور به خالصاً كما يريد ويرضيه إلا في مدة متطاولة؛ لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الأعمال الصاعدة، لأنه لا يوصف بالصعود إلا الخالص ودل عليه قوله على أثره ﴿فَلَيْلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩] أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض: لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة. كما قال: ﴿وَرَبِّكَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أي يصير إليه، ويثبت عنده.

(١) قال محمود: «يعني قريشاً لأنها لم يبعث لها نبي قط. فإن قلت: إن لم يتقدم بعث نبي إليهم فيما قامت عليهم الحجة. قلت: قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا بالرسول لا سبيل إليه. وأما قيامها بمعرفة الله تعالى وتوحيده وحكمته فنعم؛ لأن أدلة العقل معهم في كل زمان» قال أحمد: مذهب أهل السنة: أنه لا يدرك علم شيء من أحكام الله تعالى التكليفية إلا بالشرع وما ذكره الزمخشري تفريع على قاعدة التحسين والتقيح بالعقل وقد مجها السمع فلم يبح بها القلم، فأعرض عنه حتى يخوض في حديث غيره. وإنما قامت الحجة على العرب بمن تقدم من الرسل إليهم كأبيهم إسماعيل وغيره، والمراد بقوله تعالى: ﴿مَّا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ﴾ يعني ذرية للعرب في زمانه عليه الصلاة والسلام، إذ لم يبعث إليهم نذير معاصر، فلطف الله تعالى بهم وبعث فيهم رسولا منهم.

ويكتب في صحف ملائحته كل وقت من أوقات هذه المدة: ما يرتفع من ذلك الأمر ويدخل تحت الوجود إلى أن تبلغ المدة آخرها، ثم يدبر أيضاً ليوم آخر، وهلم جرا إلى أن تقوم الساعة. وقيل: ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض، ثم يرجع إليه ما كان من قبول الوحي أو رده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة ألف سنة؛ لأن المسافة مسيرة ألف سنة في الهبوط والصعود؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل؛ لأنه يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد. وقيل: يدبر أمر الدنيا من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعة، ثم يعرج إليه ذلك الأمر كله؛ أي يصير إليه ليحكم فيه ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ يَقْدَرُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وهو يوم القيامة. وقرأ ابن أبي عبلة: يعرج، على البناء للمفعول. وقرئ: يعدون، بالتاء والياء.

﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ. وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٩)

﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ حسنه، لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبه المصلحة: فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن، كما قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (النين: ٤) وقيل: علم كيف يخلقه من قوله: قيمة المرء ما يحسن. وحقيقته، يحسن معرفته أي يعرفه معرفة حسنه بتحقيق وإتقان. وقرئ: خلقه: على البدل، أي: أحسن. فقد خلق كل شيء<sup>(١)</sup>. وخلقه: على الوصف، أي: كل شيء خلقه فقد أحسنه. سميت الذرية نسلًا؛ لأنها تنسل منه، أي: تنفصل منه وتخرج من صلبه<sup>(٢)</sup> ونحوه قولهم للولد: سليل ونجل. و﴿سَوَّاهُ﴾ قومه، كقوله تعالى: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ودل بإضافة الروح إلى ذاته على أنه خلق عجيب لا يعلم كنهه إلا هو، كقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾ الآية كأنه قال: ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته.

﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ (١٠) ﴿قُلْ

- (١) قوله «أي أحسن فقد خلق كل شيء» لعل لفظ «فقد» مزبدة من قلم الناسخ. وعبرة النسفي: على البدل، أي: أحسن خلق كل شيء ويمكن أنه ليس مزبداً، بل هذا حاصل المعنى على البدل، كما أن عكسه الآتي هو حاصل المعنى على الوصف. (ع)  
(٢) قوله «وتخرج من صلبه» لعل قبله سقطاً تقديره: كما سميت النطفة سلالة، لأنها نسل منه. وفي الصحاح «النجل»: النسل. ونجله أبوه. أي: ولده. (ع)

يَتَوَفَّنُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَيَّ رَجْعُكُمْ ﴿١١١﴾

﴿وَقَالُوا﴾ قيل القائل أبي بن خلف، ولرضاهم بقولهم أسند إليهم جميعاً. وقرئ: أننا وأنا، على الاستفهام وتركه ﴿ضَلَلْنَا﴾ صرنا تراباً، وذهبنا مختلطين بتراب الأرض. لا تتميز منه، كما يضل الماء في اللبن أو غبنا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالدفن فيها، من قوله [من الطويل]:

وَأَب مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ ..... (١)

وقرأ علي وابن عباس - رضي الله عنهما -: ضللنا، بكسر اللام. يقال: ضل يضل وضل يضل. وقرأ الحسن - رضي الله عنه -: ضللنا، من ضل اللحم وأصل: إذا أتن. وقيل: صرنا من جنس الصلة وهي الأرض. فإن قلت: بم انتصب الظرف في (أنذا ضللنا)؟ قلت: بما يدل عليه ﴿أَمَّا لِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو نبث. أو يجدد خلقنا. لقاء ربهم: هو الوصول إلى العاقبة، من تلقي ملك الموت وما وراءه، فلما ذكر كفرهم بالإنشاء، أضرب عنه إلى ما هو أبلغ في الكفر، وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة، لا بالإنشاء وحده. ألا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع إلى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء، وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا والتوفي: استيفاء النفس وهي الروح. قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢] وقال: أخرجوا أنفسكم، وهو أن يقبض كلها لا يترك منها شيء. من قولك: توفيت حقي/ ٩٦/٢ ب من فلان، واستوفيته إذا أخذته وافياً كاملاً من غير نقصان. والتفعل والاستفعال: يلتقيان في مواضع: منها: تقصيته واستقصيته، وتعمجلته واستعجلته. وعن مجاهد - رضي الله عنه -: حويت لملك الموت الأرض، وجعلت له مثل الطست، يتناول منها حيث يشاء. وعن قتادة: يتوفاهم ومعه أعوان من الملائكة. وقيل: ملك الموت: يدعو الأرواح فتجيبه، ثم يأمر أعوانه بقبضها.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُتَجَرِّمُونَ نَآكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَانْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا

(١) وَأَب مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وغودر بالجولان حزم ونائل

يرثي ميتاً. والإياب: الرجوع. والإضلال: الدفق والغيب. وجولان: جبل بالشام. والنائل: العطاء يعني: بترك ذلك الموصوف بالحزم والكرم، فقد ترك الوصفات هناك. وهو للناطقة الذياني في ديوانه ص ١٢١، ولسان العرب (ضلل)، (جلا)، وتاج العروس (ضلل)، (جلا)، وتهذيب اللغة ١١/١٨٧، ٤٦٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٤٤، وبلا نسبة في حمهرة اللغة ص ١٠٧٧، ومقاييس اللغة ١/٤٩٦، ٣/٣٥٦، ومجمل اللغة ٣/٢٧٧.

## نَسِيدَتُكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يجوز أن يكون خطاباً لرسول الله - ﷺ -، وفيه وجهان: أن يراد به التمني، كأنه قال: وليت ترى، كقوله ﷺ للمغيرة: «لو نظرت إليها» (١١٦٢). والتمني لرسول الله - ﷺ -، كما كان الترجي له في ﴿أَمَلَهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ لأنه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم، فجعل الله له تمني أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشتت بهم، وأن تكون لو الامتناعية قد حذفت جوابها، وهو: لرأيت أمراً فظيلاً. أو: لرأيت أسوأ حال ترى. ويجوز: أن يخاطب به كل أحد، كما تقول: فلان لثيم، إن أكرمته أهانك، وإن أحسنت إليه أساء إليك، فلا تريد به مخاطباً بعينه، فكأنك قلت: إن أكرم وإن أحسن إليه، ولو وإذا كلاهما للمضي، وإنما جاز ذلك؛ لأن المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه، ولا يقدر لنرى ما يتناوله، كأنه قيل: ولو تكون منك الرؤية، وإذ ظرف له. يستغيثون بقولهم ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ فلا يغاثون، يعني: أبصرنا صدق وعدك ووعدك وسمعنا منك تصديق رسلك. أو كنا عمياً وصماً فأبصرنا وسمعنا ﴿فَأَرْجِعْنَا﴾ هي الرجعة إلى الدنيا ﴿لَا تِلْكَ كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ على طريق الإلجاء والقسر، ولكننا بنينا الأمر على الاختيار<sup>(١)</sup> دون الاضطرار، فاستحبوا العمى على

١١٦٢ - أخرجه أحمد (٢٤٤/٤ - ٢٤٥)، والدارمي (١٣٤/٢) كتاب النكاح - باب الرخصة في النظر للمرأة عند الخطبة، والترمذي (٣٩٧/٣) كتاب النكاح - باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة - حديث (١٠٨٧)، والنسائي (٦٩/٦) كتاب النكاح باب إباحة النظر قبل التزويج، وابن ماجه (١/٦٠٠) كتاب النكاح - باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها حديث (١٨٦٦)، وعبد الرزاق (١٣٣٥) وسعيد بن منصور رقم (٥٥١ - ٥١٨)، وابن الجارود ص (٢٢٦) كتاب النكاح حديث (٦٧٥)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٤/٣)، كتاب النكاح - باب الرجل يريد تزوج المرأة هل يحل له النظر إليها أم لا؟ والدارقطني (٣/٢٥٢): كتاب النكاح - باب المهر - حديث (٣١)، والبيهقي (٨٤/٧) كتاب النكاح باب نظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها. والخطيب في التاريخ (٣٤٤/٧)، والبقوي في شرح السنة (١٤/٥) - بتحقيقنا من طريق عاصم الأحول عن بكر بن عبد الله المزني عن المغيرة قال: «خطبت امرأة فذكرتها لرسول الله - ﷺ - فقال لي: هل نظرت إليها؟ فقلت: لا. قال: فانظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما».

قال الحافظ في تخريج الكشاف: هذا طرف من حديث أخرجه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن أبي شيبة، وابن حبان، والحاكم، وأحمد والبخاري، وغيرهم من حديث المغيرة «أنه خطب امرأة فقال لي النبي - ﷺ - انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» ورواه أبو عبيد في الغريب بلفظ أنه قال للمغيرة وقد خطب امرأة: «لو نظرت إليها» الحديث. انتهى.

(١) قوله «ولكننا بنينا الأمر على الاختيار» لما أوجب المعتزلة على الله الصلاح قالوا: إنه قد شاء الهدى للكل، ولكن مشيئة تخيير، لا مشيئة إجبار، فلذا لم يهتد الكل بل البعض، ولو شاء مشيئة قسر =

الهدى، فحققت كلمة العذاب على أهل العمى دون البصراء. ألا ترى إلى ما عقبه به من قوله: ﴿فَذُوقُوا يَمَّا نَبِيتُمْ﴾ فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم: من نسيان العاقبة، وقلة الفكر فيها، وترك الاستعداد لها. والمراد بالنسيان: خلاف التذكر، يعني: أن الانهماك في الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها، ثم قال: ﴿إِنَّا نَبِيتُكُمْ﴾ على المقابلة، أي: جازيناكم جزاء نسيانكم. وقيل: هو بمعنى الترك، أي: تركتم الفكر في العاقبة، فتركناكم من الرحمة. وفي استئناف قوله إنا نسيناكم وبناء الفعل على إن واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا أي ما أنتم فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء، وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم<sup>(١)</sup> من المعاصي والكبائر الموبقة<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥) ﴿سَجَّافٍ جُتُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧)

﴿إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾ أي وعظوا: سجدوا تواضعاً لله وخشوعاً، وشكراً على ما رزقهم من الإسلام ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ونزهوا الله من نسبة القبائح إليه، وأثنوا عليه حامدين له ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ كما يفعل من يصر مستكبراً كأن لم يسمعها. ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾ [الإسراء: ١٠٧]: ﴿سَجَّافٍ﴾ ترتع وتتنحى ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ عن الفرش ومواضع النوم، داعين ربهم عابدين له؛ لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته، وهم المتهجدون، وعن رسول الله - ﷺ - في تفسيرها: «قيام العبد من الليل» (١١٦٣)، وعن الحسن - رضي الله عنه -: أنه التهججد.

١١٦٣ - أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٢/٥ - ٢٤٢). وابن أبي شيبة، وإسحاق بن راهويه في مسنديهما كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٨٤/٣) من طريق حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن شهر بن حوشب عن معاذ عن النبي - ﷺ - قال في قوله تعالى: ﴿سَجَّافٍ جُتُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ =

= لا هتدى الكل. وأهل السنة لم يوجبوا على الله شيئاً، وقالوا: كل ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، خيراً كان أو شراً. واستلزام الإرادة لوقوع المراء لا يستلزم القسر والإجبار للعباد؛ لما لهم من الكسب في أفعالهم، وإن كانت في الحقيقة مخلوقة لله تعالى، كما تقرر في علم التوحيد. (ع)  
(١) قال محمود: «معناه بما كنتم تعملون من الكفر والكبائر الموبقة» قال أحمد: قد تمهد من مذاهب أهل السنة أن مقتضى لاستحقاق الخلود في العذاب هو الكفر خاصة. وأما ما دونه من الكبائر فلا يوجب خلوداً والمسألة سمعية. وأدلتها من الكتاب والسنة قطعية، خلافاً للقدرية.  
(٢) قوله «والكبائر الموبقة» أي: المهلكة. (ع)

وعن رسول الله - ﷺ -: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم: سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم. ثم يرجع فينادي: ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع؛ فيقومون وهم قليل. ثم يرجع فينادي: ليقيم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء، فيقومون وهم قليل، فيسرحون جميعاً إلى الجنة. ثم يحاسب سائر الناس» (١١٦٤). وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: كان أناس من أصحاب رسول الله - ﷺ - يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة، فنزلت فيهم (١١٦٥). وقيل: هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها ﴿مَا أَخْفَى لَهُمْ﴾

= قال: «قيام العبد من الليل». اهـ.

ومن طريق أحمد رواه الثعلبي، وبهذا الإسناد رواه ابن مردويه كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٨٤/٣).

وله طريق آخر بمعناه عن معاذ أيضاً.

أخرجه الترمذي (١٣/٥ - ١٤): كتاب الإيمان: باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث (٢٦١٦)، وابن ماجه (١٣١٤/٢ - ١٣١٥): كتاب الفتن: باب كف اللسان في الفتنة، حديث (٣٩٧٣) عن معمر بن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ قال: «كنت مع النبي - ﷺ - في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه... إلى أن قال: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾. اهـ.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وله طريق آخر:

أخرجه الحاكم في المستدرك (٤١٣/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. اهـ.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أحمد، وابن أبي شيبه، وإسحاق، والحاكم من رواية أبي وائل عن معاذ في أثناء حديث مرفوع قال: «وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾. انتهى.

١١٦٤ - اختصره الحاكم في المستدرك في تفسير سورة النور (٣٩٨/٢ - ٣٩٩) عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عتبة بن عامر الجهني به.

وأخرجه إسحاق بن راهويه، وأبو يعلى في مسنديهما والثعلبي في تفسيره، والبيهقي في شعب الإيمان كما في تخريج الكشاف للزيلعي (ج ٣/٨٥).

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه إسحاق وأبو يعلى من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد مطولاً، وهو عند الحاكم باختصار. انتهى.

١١٦٥ - أخرجه أبو داود (٣٥/٢): كتاب الصلاة: باب وقت قيام النبي - ﷺ - من الليل، حديث (١٣٢١) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك به.

وأخرجه ابن مردويه في تفسيره من حديث الحارث بن ربيعة عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك به كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٨٦/٣).

وله سند آخر: عند البزار في مسنده: عن عبد الحميد بن سليمان عن مصعب عن زيد بن أسلم عن =

على البناء للمفعول. ما أخفى لهم على البناء للفاعل، وهو الله سبحانه. وما أخفى لهم. وما نخفي لهم. وما أخفيت لهم: الثلاثة للمتكلم، وهو الله سبحانه. وما: بمعنى الذي، أو بمعنى أي<sup>(١)</sup>. وقرئ: من قرّة أعين. وقرات أعين. والمعنى: لا تعلم النفوس - كلهنّ ولا نفس واحدة منهنّ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل - أي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لأولئك وأخفاه من جميع خلائقه، لا يعلمه إلا هو مما تقر به عيونهم، ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها، ثم قال: ﴿جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فحسم أطماع المتمنين<sup>(٢)</sup>: وعن النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا/ ٢/ ١٩٧ أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، بله<sup>(٣)</sup> ما أطلعتهم عليه. اقرؤا إن شئتم: فلا تعلم نفس

= أبيه قال بلال: «كنا نجلس... إلى آخره بنحوه كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٨٦).

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن مردويه من رواية الحارث بن ربيعة عن مالك بن دينار: «سألت أنس بن مالك عن قوله تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الآية فقال: كان ناس - فذكروهم - ورواه أبو داود من حديث سعيد عن قتادة عن أنس نحوه، قال: وكان الحسن يقول: «هو قيام الليل» واليزار من طريق زيد بن أسلم عن أبيه، قال قال بلال: كنا نجلس وناس من أصحاب النبي ﷺ - يصلون بعد المغرب إلى العشاء فنزلت هذه الآية» قال: ولا نعلم له طريقاً إلا هذه. ولا روى أسلم عن بلال غيره. انتهى.

(١) قوله «أو بمعنى أي» لعله: أي شيء. (ع)

(٢) قال محمود: «هذا حسم لأطماع المتمنين» قال أحمد: يشير إلى أهل السنة لاعتقادهم أن المؤمن العاصي موعود بالجنة، ولا بد من دخوله إياها وفاء بالوعد الصادق، وأن أحداً لا يستحق على الله بعمله شيئاً، فلما وجد قوله تعالى: ﴿جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ اغتنم الفرصة في الاستشهاد على معتقد القدرية في أن الأعمال أسباب موجبة للجزاء. ولا دليل في ذلك لمعتقدم مع قوله ﷺ: «لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة» فهذا الحديث يوجب حمل الآية على وجه يجمع بينها وبينه، وذلك إما أن تحمل الآية على أن المراد منها قسمة المنازل بينهم في الجنة فإنه على حسب الأعمال، وليس بذاك فإن المذكور في الآية مجرد دخول الجنة لا اقتسام درجاتها. وإما أن تحمل - وهو الظاهر، والله أعلم - على أن الله تعالى لما وعد المؤمن جنته - ووعد به أن يكون حقاً وصدقاً، تعالى وتقدس - صارت الأعمال بالوعد كأنها أسباب موجبات، فعولت في هذه العبارة معاملتها، والمقصود من ذلك: تأكيد صدق الوعد في النفوس، وتصوره بصورة المستحق بالعمل، كالأجرة المستحقة شاهداً على العمل من باب مجاز التشبيه، والله أعلم. وذكر الزمخشري الحديث المشهور وهو «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم» ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ وكان جدي رحمه الله يستحسن أن تقرأ الآية تلو الحديث المذكور بسكون الياء من أخفى، ورده إلى المتكلم، وهي من القراءات المستفيضة. والسبب في اختيار ذلك مطابقة صدر الحديث وهو: أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ليكون الكل راجعاً إلى الله تعالى، مسنداً إلى ضمير اسمه عز وجل صريحاً، والله الموفق.

(٣) قوله «بله ما أطلعتهم عليه» في الصحاح «بله»: كلمة مبنية على الفتح مثل كيف؛ ومعناها: دع، كما =



ما أخفى لهم من قرة أعين (١١٦٦). وعن الحسن - رضي الله عنه -: أخفى القوم أعمالاً في الدنيا، فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ٢٠ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٢١﴾

﴿كَانَ مُؤْمِنًا﴾ و﴿كَانَ فَاسِقًا﴾ محمولاً على لفظ من و﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ محمول على المعنى بدليل قوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾... ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ﴾ [محمد: ١٦]. و﴿جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾ نوع من الجنان:

١١٦٦ - ورد من حديث أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد الساعدي، وحديث أبي الدرداء.

فأما حديث أبي هريرة:

أخرجه البخاري ٣٦٦/٦ في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٤)، ومسلم ٢١٧٤/٤ - ٢١٧٥ في الجنة، في أوله (٢ - ٣ - ٤/٢٨٢٤)، والترمذي ٣٢٣/٥ في التفسير باب من سورة المسجدة (٢١٩٧)، وابن ماجه ١٤٤٧/٢ في الزهد، باب صفة الجنة (٤٣٢٨)، وأحمد ٣١٣/٢، والحميدي في مسنده ٤٨٠/٢ برقم (١١٣٣)، وابن أبي شيبة ١٣/١٠٩، والطبراني في الصغير ٢٦/١، والطبري في تفسيره ٦٦/٢١ - ٦٧، وهناد في الزهد (١ - ٢)، وأبو نعيم في الحلية ٢٦/٩ من طرق عن أبي هريرة بنحوه.

وأما حديث سهل بن سعد الساعدي: فأخرجه مسلم في المصدر السابق (٢٨٢٥/٥).

وأما حديث أبي سعيد الخدري: فأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/٢٦٢، والطبراني في الأوسط والبخاري ٤١٥/١٠ وقال الهيثمي: رجال البزار رجال الصحيح.

وأما حديث أنس: فرواه الطبراني في الأوسط كما في المجمع. وقال الهيثمي: فيه محمد بن مصعب القرمساني. وهو ضعيف بغير كذب.

وأما حديث أبي الدرداء: فأخرجه البزار كما في المجمع. وقال الهيثمي: فيه زيادة بن محمد وهو ضعيف.

وروي من قول ابن مسعود موقوفاً أخرجه الفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه كما في الدر المنثور ١٧٦/٥.

قال الحافظ: متفق عليه، من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة - رضي الله عنه - انتهى.

= أجزاه الأخفش في قول كعب بن مالك [من الكامل]:

تذر الجماجم ضاحياً هاماتها بله الأكف كأنها لم تخلق

ويقال: معناها سوى. وفي الحديث: «أعددت لعبادي... إلخ». (ع)

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾ سميت بذلك لما روي عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: تأوي إليها أرواح الشهداء. وقيل: هي عن يمين العرش. وقرئ: جنة المأوى، على التوحيد ﴿نَزْلًا﴾ عطاء بأعمالهم. والنزل: عطاء النازل، ثم صار عاماً ﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ أي ملجؤهم ومنزلهم. ويجوز أن يراد: فجنة مأواهم النار، أي النار لهم، مكان جنة المأوى للمؤمنين: كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٦﴾﴾. ﴿أَلْعَذَابُ الْأَذَى﴾ عذاب الدنيا من القتل والأسر، وما محنوا به من السنة<sup>(١)</sup> سبع سنين. وعن مجاهد - رضي الله عنه -: عذاب القبر. ﴿أَلْعَذَابُ الْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة، أي: نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي يتوبون<sup>(٢)</sup> عن الكفر، أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه، كقوله تعالى: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ وسميت إرادة الرجوع رجوعاً، كما سميت إرادة القيام قياماً في قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ ويدل عليه قراءة من قرأ: يرجعون، على البناء للمفعول. فإن قلت: من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة؟ و«لعل» من الله إرادة، وإذا أراد الله شيئاً كان ولم يمتنع، وتوبتهم مما لا يكون، ألا ترى أنها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر؟ قلت: إرادة الله تتعلق بأفعاله وأفعال عباده، فإذا أراد شيئاً من أفعاله كان ولم يمتنع، للاقتدار وخلوص الداعي. وأما أفعال عباده: فإما أن يريدوها وهم مختارون لها، أو مضطرون إليها بقسره وإلجائه، فإن أرادها وقد قسرها عليها فحكمها حكم أفعاله، وإن أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره<sup>(٣)</sup>، كما لا يقدح في اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها، لأن اختياره لا يتعلق

(١) قوله «وما محنوا به من السنة» أي المجدة. أو المراد بها الجذب. كما يؤخذ من الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «معناه لعلهم يتوبون. فإن قلت: من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله إرادة، وإذا أراد الله شيئاً كان، وتوبتهم مما لا يكون؛ لأنهم لو تابوا لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر. قلت: إرادة الله تعالى تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فإذا أراد شيئاً من أفعاله كان ولم يمتنع، للاقتدار وخلوص الداعي. وأما أفعال عباده فإما أن يريدوها وهم مختارون لها، أو مضطرون إليها بقسره، فإن أرادها وقد قسرها عليها فحكمها حكم أفعاله، وإن أرادها على أن يختارها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره. كما لا يقدح في اقتدارك: إرادتك أن يختار عبدك الطاعة لك وهو لا يختارها. لأن اختيارها لا يتعلق بقدرتك فلا يكون فقد عجزاً منك» قال أحمد: هذا الفصل رديء جداً مفرغ على الإشراك الجلي لا على الإشراك الخفي، فاعتصم بدليل الوحدانية على رده واجتنابه من أصله، والله المستعان. وإنما جره في تفسير لعل إلى الإرادة، والحق في تفسيرها أنها لترجي المخاطبين امتناع الترجي على الله تعالى، كذا فسرهما سيويه فيما تقدم، والله أعلم.

(٣) قوله «لم يقدح ذلك في اقتداره» أي عدم وقوعها وعدم اختيارهم إياها. فهذا على مذهب المعتزلة: من أنه قد يريد الشيء ولا يكون، ومذهب أهل السنة: أن كل ما أراد الله كان. (ع)

بقدرتك، وإذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقدته دالاً على عجزك. وروي في نزولها: أنه شجر بين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - والوليد بن عقبة بن أبي معيط يوم بدر كلام، فقال له الوليد: اسكت فإنك صبي: أنا أشب منك شباباً، وأجلد منك جلدأ، وأدرب منك لساناً، وأحد منك سناناً، وأشجع منك جناناً، وأملأ منك حشواً في الكتبية. فقال له علي - رضي الله عنه -: اسكت، فإنك فاسق، فنزلت عامة للمؤمنين والفاستقين (١١٦٧). فتناولتهما وكل من كان في مثل حالهما<sup>(١)</sup>. وعن الحسن بن علي - رضي الله عنهما -: أنه قال للوليد: كيف تشتم علياً وقد سماه الله مؤمناً في عشر آيات، وسماك فاسقاً؟

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْعِمُونَ﴾

ثم في قوله: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ للاستبعاد. والمعنى: أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل، كما تقول لصاحبك: وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعاداً لتركه الانتهاز؛ ومنه ثم في بيت الحماسة [من الطويل]:  
وَلَا يَكْشِفُ الْغُمَاءَ إِلَّا ابْنُ حُرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا<sup>(٢)</sup>

١١٦٧ - أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» (ص ٣٦٣) رقم (٦٨٧) من طريق عبيد الله بن موسى ثنا ابن أبي ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.  
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٧٧/٥) وعزاه للأصبهاني في «الأغاني» والواحدي وابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن عساكر. اهـ. وينظر: تخريج الكشاف (٨٨/٣) للزيلعي.  
قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه والواحدي من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي: «أنا أحد منك سناناً وأبسط منك لساناً وأملأ منك للكتبية». فقال له علي: اسكت يا فاسق، فإنما أنت فاسق، فنزلت. وله طريق أخرى عند ابن مردويه من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.  
تنبيه: قوله: إن ذلك شجر بينهما يوم بدر غلط فاحش. فما كان الوليد حينئذ رجلاً.

(١) قال محمود: «سبب نزولها أنه شجر بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والوليد بن عقبة يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فإنك صبي أنا أشب منك شباباً وأجلد منك جلدأ وأدرب منك لساناً وأحد منك سناناً وأشجع منك جناناً وأملأ حشواً في الكتبية، فقال له علي: اسكت فإنك فاسق. قال الزمخشري: فنزلت عامة للمؤمنين والكافرين تتناولهما معاً» قال أحمد: ذكر للسبب المحقق: لأن المراد بالفاسق وبالذين فسقوا: الذين كفروا، لأنها نزلت في الوليد وهو كافر حينئذ، ثم أدرج فيه المؤمن تعصباً لمذهبه في وجوب خلود فاسق المؤمنين كفساق الكافرين، فلم يزل يورد هذه العقائد الفاسدة، ولقد اتسع الخرق على الراقع.

(٢) ولا يكشف الغمء إلا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها =

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها. فإن قلت: هلا قيل: إنا منه منتقمون؟ قلت: لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم، فقد دلّ على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام، ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ يَا مَرْيَمُ لِمَا صَبَرْتِ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِفَصْلِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥)﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ (٢٣)﴾ الكتاب للجنس والضمير في ﴿لِقَائِهِ﴾ له. ومعناه: إنا آتينا موسى عليه السلام مثل ما آتيناك من الكتاب، ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي، فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أُنزِلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] ونحو قوله: ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ قوله: ﴿وَأَنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦)﴾ وقوله: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ / ٢ / ٩٧﴾ بـ ﴿كُنَّا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]. وجعلنا الكتاب المنزل على موسى عليه السلام ﴿هُدًى﴾ لقومه ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ﴾ الناس ويدعونهم إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه، لصبرهم وإيقانهم بالآيات. وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل إليك هدى ونوراً، ولنجعلن من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين. وقيل: من لقائك موسى عليه السلام ليلة الإسراء أو يوم القيامة وقيل: من لقاء موسى عليه السلام الكتاب، أي: من

= نقاسمهم أسيافتنا شر قسمة ففينا غواشيها وفيهم صدورها

لجعفر بن علي الحارثي، شبه الداهية الغماء بأمر محسوس يغشى الناس ويغطيهم على طريق المكنية، والكشف تخيل وقال «ابن حرة» أي كريم؛ ليكون تهيجاً للسامع وبعثاً له على الهيجاء. والغمرة: الشدة. وغمرات الموت: شدائده وأهواله، كأحوال المعركة الشديدة. وقوله «ثم يزورها» أي يلاقيها برغبة، كلقاء المحبوب، وعطفه بشم؛ لأن بين رؤية الأهوال المفزعة، وبين الانحدار إليها برغبة بوناً بعيداً في العادة والتعقل. وشبه السيوف ممتدة متوسطة بينهم بشيء تجري فيه المقاسمة، ونقاسمهم تخيل لذلك، ثم فرع على تلك المقاسمة أن لهم غواشيها، أي ما يغشاهم منها وهي مقابضها. أو لأنها زائدة على النصل فهي غاشية له ولأعدائه «صدورها» أي أطرافها المتقدمة منها. وصدر كل شيء: مقدمه. وعبر بفي دون اللام، لأن «في» تفيد مجرد اشتغال الأعداء على الصدور لدخولها في أجسامهم اللام تفيد الملك وليس مراداً. وإن كان مقتضى القسمة. فلعله دفع توهمه بالعدول إلى «في» وذكرها أولاً تمهيداً للثانية. ينظر: الدر المصون (٣٩٩/٥).



المشركون قالوا: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ أي في أي وقت يكون ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه كائن. و﴿يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم، ويوم نصرهم عليهم. وقيل: هو يوم بدر. وعن مجاهد والحسن - رضي الله عنهما -: يوم فتح مكة. فإن قلت: قد سألوا عن وقت الفتح، فكيف ينطبق هذا الكلام جواباً على سؤالهم. قلت: كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح، استعجالاً منهم عن وجه التكذيب والاستهزاء، فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقليل لهم: لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا، فكأنني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم، وأمتم فلم ينفعكم الإيمان، واستنظرتهم في إدراك العذاب فلم تنظروا. فإن قلت: فمن فسر به يوم الفتح أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الإيمان، وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناساً يوم بدر؟ قلت: المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل، كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق ﴿وَأَنْظَرُ﴾ النصره عليهم وهلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ الغلبة عليكم وهلاككم، كقوله تعالى: ﴿فَتَرَى صَوْأًا لِّمَا مَعَكُمْ مَّتَرِيسُونَ﴾ [التوبة: ٥٢] وقرأ ابن السميعة رحمه الله: منتظرون، بفتح الظاء. ومعناه: وانتظر هلاكهم فإنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم، يعني أنهم هالكون لا محالة. أو وانتظر ذلك؛ فإن الملائكة في السماء ينتظرونه.

عن رسول الله - ﷺ -: «من قرأ الم تنزِيل وتبارك الذي بيده الملك، أعطي من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر» (١١٦٨). وقال: «من قرأ الم تنزِيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام» (١١٦٩).

١١٦٨ - تقدم تخريجه وإراجع حديث (٣٤٦).

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي عن أبي، وله طريق أخرى عند الثعلبي من رواية أبي عصمة عن زيد العمي عن أبي بصرة عن ابن عباس عن أبي. وعند ابن مردويه من وجه آخر عن نافع عن ابن عمر، وفي إسناده داود بن معاذ وهو ساقط.

١١٦٩ - قال الحافظ الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٨٩/٣) غريب جداً.

وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده.